مفهوم الأدب:

يمثِّل الأدب أحدَ أهم أشكال التعبير البشرية، والتي من خلالها يمكن للإنسان أن يعبِّر عن كل ما يجول في نفسه من أفكار ومشاعر وعواطف وهواجس وخواطر بأسلوب راقٍ وبديع، ويندرج تحت مفهوم الأدب الكثير من الأشكال والألوان الأدبية منها: النثر والشعر والقصة والرواية والمقالة والخاطرة وغيرها، ويكون الأدب مرتبطًا بشكل كبير بلغة كل أمة من الأمم لأنَّه يعدّ المخزن التي تخزنُ فيه نتاجها وتاريخها وثقافتها ولغتها أيضًا، وفي هذا المقال سيدور الحديث حول تعريف الأدب المقارن ومجالاته والإشارة إلى المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن.

تعريف الأدب المقارن:

يمكنُ تعريف الأدب المقارن بأنه علم يقوم على دراسة الآداب خارج حدود بلد معين، أي مقارنة أدب ما مع أدب آخر مختلف أو مع مجموعة من الآداب الأخرى، ويشمل أيضًا مقارنة الأدب مع مجال آخر من مجالات التعبير الإنساني ودراسة علاقة هذا الأدب بذاك المجال، أي علاقة الأدب بأشكال أخرى من أشكال المعرفة والفنون والتعبير كالرسم والعمارة والموسيقى والنحت والديانات والفلسفة والاقتصاد وعلم الاجتماع والتاريخ وغيرها، حيثُ يبحث الأدب المقارن في العلاقات التي تنطوي على التشابه والتأثير والقرابة بين مختلف الأمم، ويحاول أن يقرِّب بين الأدب ومجالات المعرفة ومجالات التعبير الأخرى. وكذلك يسعى للتقريب بين الظواهر والنصوص الأدبية مع بعضها، ورغم وجود خلاف حول دقة مدلول هذا المصطلح والمراد منه، لأن الأدب المقارن منهج في دراسة الأدب وليس أدبًا إبداعيًا، فقال بعض النقاد أنَ الصواب أن يُسمى هذا المفهوم "الدراسة المقارنة للأدب" أو "التاريخ الأدبي المقارن"، إلا أن الأدب المقارن هو المصطلح الأشهر والذي شاع بين الباحثين لسهولته، وبمعنى آخر فإن تعريف الأدب المقارن: هو دراسة تاريخ العلاقات المتبادلة بين مختلف الآداب والروابط والتشابهات التي تتجاوز الحدود الجغرافية والحدود اللغوية.

مجالات الأدب المقارن :

بعد تعريف الأدب المقارن لا بدّ من ذكر مجالات الأدب المقارن التي منحت هذا العلم أهمية كبيرة في العصر الحديث، حيثُ ظهر حديثًا في الأدب الغربي ويعد الفرنسيون هم أول من أشار إلى هذا المفهوم، وبذكر مجالات الأدب المقارن تتوضح أهمية هذا العلم وذلك من خلال المواضيع التي يتناول دراستها والتي تمسُّ الواقع بشكل مباشر، وفيما يأتي أهم مجالات الأدب المقارن:

الحوار: يمثِّل الأدب المقارن صلة وصلٍ متينة بين مختلف الحضارات والثقافات، حيث يعمل على إيجاد أماكن التأثر والتأثير بين آداب كل مجتمع وكل بلد، كما يقوم بتحديد نقاط التوافق ونقاط الاختلاف بين الثقافات بآدابها المختلفة.

التركيز على بعد الأدب الإنساني: لأنَّ الأدب المقارن يعمل على إظهار نقاط التقارب والتآلف بين أقصى غايات آداب القوميات المختلفة، فقد تكون الآداب التي تخصُّ عدة مجتمعات مثلًا متباينة ومختلفة من حيث الشكل واللغة ووسيلة التعبير ولكنها جميعها تتفق في الغايات.

الترجمة: حيث يعتقد كثير من الباحثين أنَّ ازدهار الترجمة مرتبط بازدهار الأدب المقارن وانتشاره، لأن دراسات الترجمات نابعة من الدراسات الأدبية واللغوية والتاريخية والنفسية والاجتماعية والأنثروبولوجية وغيرها، لذلك يعتبرُ الأدبُ المقارن الترجمة فرعًا من فروعه، فالأدب المقارن يبدأ بترجمة الأدب المختلف ثم يقوم بمتابعة الدراسة عنه.

تكافؤ الثقافات: يتحقق تكافؤ الثقافات في الأدب المقارن من خلال ردم الفجوات بين الثقافات المتباينة، والتخلص من بعض التشويه الذي تعرضت له بعض الثقافات سابقًا، لأنَّ التاريخ قام بخلق بون شاسع بين الثقافات والشعوب فجعل منها المسيطرة والمهيمنة ومنها المقلدة والمهمشة.

نشأة الأدب المقارن:

"إن نشأة أي علم- مهما كانت هذه النشأة بسيطة أولية- قد تسبق وضع مصطلح علمي لاسم ذلك العلم،[...] ولذلك فإن تسمية الأدب المقارن تعتبر حديثة نسبيا، إذ يذكر كتّاب هذا العلم بأن(فيلمان) أول من استعمل مصطلح الأدب المقارن باللغة الفرنسية عام 1827 في محاضراته التي ألقاها في السوربون، ثم في 1830 خُصِّص له منبر في تلك الجامعة، ولم نصل عام 1840 إلا وقد ظهرت كتب عدة في هذا العلم الجديد."

نشأة المفهوم والتاريخ:"إذا ما تناسينا تاريخ نشوء المصطلح نجد أن الأدب المقارن قد وُجِد قديما، ونشأ من الموازنة والمفاضلة التي نشأت عند الرومانيين حين تكلموا عن الكُتّاب الإغريق وقارنوهم بمؤلفيهم وكتّابهم."

"وفي علم البلاغة العربية أجرى ابن سنان وابن الأثير مقارنات منوعة وطريفة حول الحرف العربي أو الأسلوب العربي ومقارنته باللغات الأخرى، وقد أشار الجاحظ إلى بعض الألفاظ الأجنبية في اللغة العربية وأسباب دخولها وأثر البيئة والمجاورة في ذلك. ولكن كل دراسات العرب لا تُكوِّن كتابا ولو جمعت ملاحظاتهم كلها لما كانت تتعدى الصفحات القليلة."

"أما نقاد القرون الوسطى في أوربا فقد اهتموا بذكر ما أخذه كتّابهم من الأدب الإغريقي والكلاسيكي،

وكان البحث أقرب إلى موضوع السرقات الأدبية."

"وفي القرن الثامن عشر اتسع التأثر والتأثير بين الأقطار الأوربية خاصة في إيطاليا وأسبانيا وإنكلترا، وكثرت الترجمات بين هذه الآداب، ولكن اهتمام الأوربيين بتاريخ الأدب أكثر من غيره حجب نشوء الأدب المقارن."

"وازدادت العناية في القرن التاسع عشر بالتاريخ الأدبي، وقد ظهر الميل إلى الدقة العلمية، والبحث عن مناهج يصل بها النقاد إلى حقائق علمية ثابتة وراسخة حول هذا العلم... وساعد ذلك على ضرورة العناية بالآداب الأجنبية."

"وظهرت الآداب الشعبية التي دعت بطبعها إلى المقارنة بين القصص والأساطير، وظهر الميل إلى البحث عن الصفات المشتركة بين الآداب."

"وكان ظهور مذهب الرومانتيكية(1830) التي تميل إلى تصوير الأجواء الغريبة أو الأجنبية الجديدة، عاملا مساعدا على ذلك."

"ولعل الألمان أول من اهتم بالمحاولات الأولى للأدب المقارن، مثل شليجيل، وإيكهورن، وبوترويك، وهم الذين أبرزوا التأثيرات الأساسية في صورة مجملة وتعرضوا للموضوعات الأجنبية."

"أما في فرنسا فقد كان لـ(مدام ستايل) في كتابها(من ألمانيا)، و(فولتير) في كتابه(رسائل فلسفية) الذي عرّف به الفرنسيون لأدب الإنكليز، بعض الأثر أيضا في نشأة الأدب المقارن، وإن كان ما في الكتابين يقوم على المشابهة والموازنة ولا يعمد إلى تسجيل التأثيرات."

"وفي 1825 نشط التاريخ الأدبي نشاطا ملحوظا، وتعد محاضرات (فيلمن) (العصور الوسطى والقرن الثامن عشر) التي ألقاها في 1827، ومحاضرات دراسة التأثير الذي أحدثه كتّاب القرن الثامن عشر الفرنسيون في الآداب الأجنبية (الفكر الأوربي) في 1829 من أول محاضرات الأدب المقارن إلا أنها كانت تعتمد على العموميات."

"ثم تلت(فيلمن) مدرسة من الكتّاب مثل:(جان جاك أمبير) و(إدجار كينه) و(كسافيه) و(مارميه) و(مونتيجو) و(مزبيير) وغيرهم، وهم وإن لم يكونوا كتّابا مقارنين بالمعنى الصحيح، ساعدوا على خلق الجو الفكري الملائم."

"وفي الثلث الثاني من القرن التاسع عشر، ظهر الأدب المقارن وإن لم يساعد كل من(سنت بيف) أو(تين) على نمو هذا العلم."